بسم الله الرحمن الرحيم

إرشاد الراغبين

إلى ما احتوت عليه الطريقة العلوية من الفتح المبين

تأليف الشيخ

الحسن بن عبد العزيز التادري التلمساني

أحباب الشيخ أحمد العلوي - العلاوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يقول الموقن بالوعد راجي التنجيز المفتقر إلى الله الحسن بن عبد العزيز:

حمداً لمن أرشد قلوب أوليائه بالتوجه لسبل الخيرات وألقى فيها حلاوة ذكره. وفتح بصائرهم وشرح صدورهم لاجتناء الفضائل ومنحهم بلطائف سره. والصلاة والسلام على أشرف الوسائط وأعظم الوسائل المقول له ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذّاريَات: ٥٥] سيدنا ومولانا محمد المنقذ الخلق من غيابات الضلال والمطهر لهم من دنس الرجس والرذائل المبعوث رحمة للعالمين. وعلى آله وأصحابه في كل وقت وحين.

أما بعد، لما كان طبع (القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول) من المستحسنات التي يودها الكثر. والفائدة العظمى المثلجة صدر الجم الغفير. وكيف لا وقد أتى به مؤلفه أبقاه الله على أسلوب غريب ونمط عجيب فهو كتاب صغير الحجم، جامعاً لما تشتت من مسائل هذا العلم بكيفية سهلة التناول متبادرة للأفهام، تناسب العقول وتصقل القلوب من الشك والظن وتجلو عنها الأوهام. خالياً من البراهين التي تنبو عنها الآذان، ويمجها الجنان. تحقيقاته رائقة برزت من قلب نوراني، ومعانيه راشقة نشأت عن فيض رباني، تأخذ باللب والفؤاد، إلى ما خلقت لأجله العباد. وهكذا تجد كل مؤلفات الأستاذ رضوان الله عليه، ترى حقائق من مثله ما سمعت، وإشارات من غيره ما ظهرت، والحق واضح يغني عن الاستشهاد. نسأله سبحانه وتعالى أن يجازيه الجزاء الأوفى عن ذوي الأذواق القلبية، والمشارب الصافية بما تقر عينه ويرتضيه، وأعاد علينا من بركته، وجعلنا من المحبوبين لديه، والمقبولين بفضله، آمين.

هذا وقد فكرت وأنا لدى الطبع، ورأيت للمناسبة وتتميم الفائدة والنفع، أن نلحق بهذا الكتاب المشار إليه، مناجاة[1] المؤلف رضوان الله عليه، وكذا ذكر الورد العام في الطريق الشاذلية العلوية والتنبيه لذكرها الخاص، وما يكون إن شاء الله به الخلاص. ولكن وددت أن نأتي قبل ذلك بنبذة تكون إن شاء الله كافلة ببيان فضائل هاته الطريقة وما لها من الخيرات، سالكاً مسلك الاختصار حسبما يقتضيه الحال من ضيق الأوقات، تنبيهاً وإرشاداً للسالك المتعرض للنفحات القدوسية، والراغب الطالب للفتح الخاص وفهم ما انطوت عليه بواطن الصوفية وسميت هذا المجموع (إرشاد الراغبين إلى ما احتوت عليه الطريقة العلوية من الفتح المبين) والله متولي التوفيق، وهو الهادي إلى أقوم طريق.

---

(١) حذفناها من هذا الموقع لورودها سابقاً.

الإعلان

يجب علينا والله قبل كل شيء وكان حقاً على كل منتسب سلك هاته الطريقة العلوية حساً ومعنى وانتفع بصاحبها واغترف من بحر معلوماته الربانية، وارتشف من كؤوس فيوضاته اللدنية، الإعلان بفضيلتها، والتلويح لمخبآت أسرارها، حتى يكون أدّى بعض ما وجب عليه، وشكر نعمة ما أوتي إليه. إذ شكر النعمة إفشاؤها، والتحدث بها وإظهارها. وشكرها يستمطر زيادة خيراتها ونوامي بركاتها، وقيداً لدوامها وعدم زوالها. قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] فبمناسبة ذلك وددت أن أعرب على سطح هذا الرقيم، ما لهذه الطريقة من النتائج الواضحة والفوائد الظاهرة للمريد الصادق المتعلق بأذيال هذا الأستاذ الكريم، مبيناً ذلك بقدر الإمكان، حسبما سمح به الأوان، تنبيهاً لخالي الذهن ومريد الله الطالب للوصول، ليكون على خبرة وينكشف عن بصره الغطاء بهذا التصريح وترتحل الغفلة وتزول.

ويكون إنشاء الله قد عرف المقصود إذ من عرفه واتضح لديه هان عليه كل ما ترك، ولطريق الحق جدّ وسلك، ومن تحقق صدقه وجد الفتح أقرب إليه من كل شيء (وكل من سار على الدرب وصل، ومن قرع الباب دخل) ولكن:

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدا بالروح يشريه

فها أنا أيها المريد أرشدتك إلى هذا المورد القريب، والشراب السائغ للشاربين المتدفق من حضرة الغيب، فيه شفاء لما في الصدور، وإذهاب لدرن القلوب بلقاء النور، الذي تنكشف أمامه كل ظلمة مدلهمة، وسبب لإيصال كل خير ونعمة، فقد آن لك أن تفيق من رقادك، وتتنبه من غفلاتك، لما أشرت إليك به، ودللتك عليه، إن كنت من المستيقظين، ولطلب الحق من الصادقين، وإن كنت نائماً فقد نبهناك، أو غافلاً فقد أرشدناك، لأن الإنسان نائم ولا يستيقظ إلا إذا مات عن مطامعه، وانفصل عن عالم وساوسه، ووجه وجهه للذي فطر السموات والأرض حنيفاً. وفي الحديث: «**الناس نيام**

فإذا ماتوا انتبهوا»[1] فمَن لا زالت فيه بقية حياة فإني أرجو إفاقته وصلاحه لأنه قريب التيقظ. وأما مَن كان من القاسية قلوبهم والميتة هممهم. فلم نرَ لدائه علاج. ولورطته مخرجاً، إلا أن يتداركه الله بلطفه، وينفخ فيه من روحه. إن الله قادر على أن يبعث من في القبور، ويخرج من كان في الظلمات إلى النور.

وإني ما صرحت بهذا وأشرت إليه إلا إخلاصاً لله. ونصيحة في ذات الله فعسى أن نجد لما ذكرت آذاناً صاغية. وقلوباً واعية. فنأخذ الحظ الأوفى مما قصدناه إذ الدال على الخير كفاعله. وإني على علم بأن الإعلان والدلالة لا تجوز إلا على من اتضحت خصوصيته. وظهرت خيراته وبركاته. وكان فريد عصره منفرداً على أهل زمانه بكل فضيلة. جامعاً للخصال الحميدة والأسرار الغريبة. أهداه الدهر وجاد به الأوان، واستنار الوجود بوجوده وأشرقت أنواره للأعيان قاصداً بذلك النفع للعموم، وزيادة المقبلين لاجتناء تلك العلوم والمقتطفين لأزهار هاتيك الفهوم. حتى توضع المطالبة ويرتفع اللوم.

ولزيادة الإيضاح رأيت من الأحسن أن نأتي هنا بما قرره الأستاذ رضي الله عنه في كتابه (المنح القدسية على المرشد المعين بطريق الصوفية) في مثل هذا المعنى تشريفاً وتيامناً.

قال متَّعنا الله برضاه عند قول المصنف:

سـن الأذان لـجـمـاعـة أتـت فـرضًـا بـوقـتـه وغـيـرًا طـلـبـت

سن الأذان لجماعة أي لطائفة من الصوفية أتت فرضاً أي قصدت ووجدت فرداً من أفراد الزمان، وقوله: وقته، أي فريد عصره، وصاحب وقته. فهؤلاء يسن في حقهم أن يعلنوا بالأذان لاجتماع الطالبين عليه قبل خروج ذلك الوقت والوقت ضيق والمحافظة على الصلاة في وقتها أفضل من الدنيا وما فيها، وقولنا فرداً أخرجنا به ما ليس بفرد أي الذي لم يصل لرتبة الفردانية ومثله كأهل التبرك وذوي الصلاح، فالأخذ على هؤلاء من جملة النوافل ولا يجوز الأذان للنوافل. وقوله وقته خرج به ما ليس بوقتي كالأموات من أكابر العارفين وإن كانوا أفراداً فهم من جملة الفوائت ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البَقَرَة: ١٣٤] ولا يجوز الأذان للفوائت وعليه فلا يكون الأذان إلا ذا كان صاحب المقام فرداً وقتياً ومن علامة كونه فرداً أن ينفرد أكثر المنتسبين إليه أي يصل إلى رتبة الفردانية وإجابته تصير فرضاً على كل فرد لكونه أتى بعلم وأي علم قريب عهد من الله يتجدد به الإيمان ولا يتجدد الإيمان إلا بملاقاة هؤلاء الناس لكونهم هم الأحباب الذين قال فيهم عليه الصلاة

---

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٢٧٩٥) [٢/ ٤١٤] والهروي في المصنوع [١/ ٣٧٥].

والسلام: «**جدّدوا إيمانكم بملاقاة الأحباب**»[1] وليس المراد بالأحباب هم أهل محبتك الذين أحببتهم أنت لنفسك وطبعك، أو بإحسانهم إليك، فهؤلاء لا يتجدد الإيمان بملاقاتهم وإنما النفس جبلت على حب من أحسن إليها ولو كان كافراً بل الأحباب الذين يتجدد الإيمان بملاقاتهم هم أحباب النبي الذين قال فيهم عليه الصلاة والسلام: «**سلّموا على أحبابي**»[2] ثم قال للصحابة أيضاً: «**أنتم أصحابي وهم أحبابي**»[3] فاجتهد يا أخي أن تعرف أحداً من أحبابه وتحبّب إليه حتى يحبك فإذا أحبك فاعلم بأن الله هو الذي أحبك، واجتباك إليه وقربك. وحاصل الأمر أن الفرد الوقتي أعز من الكبريت الأحمر ومن حصل عليه حصل على الكل لكون أشرف مقامات العارفين هي الفردانية لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إن الله فرد ويحب الفرد**»[4] وقال أيضاً: «**سيروا فقد سبق المفردون**»[5] قيل: ما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**هم الذين نظروا لباطن الدنيا حيث نظر الناس لظاهرها**»[5] نعم نظروا لباطنها من حيث الأسرار، من حيث المعارف من حيث الأنوار، نظروها بنظر الحق إليها فاضمحلت أمامهم فوجدوها ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [النُّور: ٣٩] وحيث وجدوا الله وقفوا معه وتركوا الدنيا والآخرة بل تركوا الكل عند الوصول إليه ولم يعودوا إلى الخلق رأساً رجعت الأشباح. وبقيت الأرواح اهـ.

وفي هذا القدر كفاية لمن ألقى السمع وتدبّر، وتصفّح ما ألقيناه عليه بعقله السديد وتفكر، ولكن ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يُونس: ١٠١] ﴿إِنَّ فِى هَـٰذَا لَبَلَـٰغًا لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبيَاء: ١٠٦] الذين لا تأخذهم في طلب الحق لومة لائمين.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع. والذي ورد قوله ﷺ: «**جدّدوا إيمانكم**» قيل: يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا؟ قال: «**أكثروا من قول لا إله إلا الله**» (رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب التوبة والإنابة، حديث رقم (٧٦٥٧) [٤/ ٢٨٥]) ورواه غيره.

(٢) و(٣) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع. والذي ورد هو قوله ﷺ: «**متى ألقى أحبابي؟**» فقال بعض الصحابة: أوَليس نحن أحبابك؟ قال: «**أنتم أصحابي غير أن أحبابي قوم لم يروني**» (رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٦٤٥٧) [٤/ ١٤٨]) ورواه غيره.

(٤) الذي ورد: «**إن الله وتر يحب الوتر**» (رواه ابن خزيمة في صحيحه، باب ذكر دليل بأن الوتر..، حديث رقم (١٠٧١) [٢/ ١٣٨] والترمذي في سننه، باب ما جاء أن الوتر ليس بحتم، حديث رقم (٤٥٣) [٢/ ٣١٦] ورواه غيرهما).

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء..، حديث رقم (٢٦٧٦) [٤/ ٢٠٦٢] ورواه غيره وتتمته: «قالوا وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيراً والذاكرات**». أما زيادة المصنف فلم أجدها فيما لدي من مصادر ومراجع.

الطريقة العلوية

ما هي الطريقة العلوية؟ وما وجه تسميتها بهذا الاسم على طريق الاستقلال؟ وما فائدة المتبع لها؟

فأقول وبالله التوفيق: إن نسبها الكريم من حيث أخذ العهد وتلقين معرفة الله بالمعنى الصرف على طريق الشهود والعيان، والذوق والوجدان، يتصل بالنبي ﷺ كما نبينه لك إن شاء الله قريباً.

ومن حيث تسميتها بالعلوية نسبة لمؤسسها المرشد المربي الحي الذي وجوده في زماننا من سعادة هذا العصر أناره الله بنبراس وجوده، ونفع المسلمين بطول بقائه. وسنعرب لك عن السبب والداعي لذلك. وهذا الاسم لجده السادس هو سيدي الحاج علي ويعرف عند العامة بعليوة وهو المنسوب إليه لقب هذه العائلة الطيبة وبيتهم بمدينة (مستغانم) من قديم إلى الآن بيت علم وصلاح مشهورون بكل خير. وفي جده الرابع يقول صاحب (سبيكة العقيان فيمن بمستغانم من الأعيان):

والحنفي اللازم التعبد نجل عليوة الفقيه المهتدي

ولا نطيل الكلام في هذا الموضوع لأنه يستدعي طولاً والحالة أنني بان على الاختصار وقد أطلت الكلام على نسبه الديني والطيني وعلى شمائله من حيث الخلقة والخلق وحسن سيرته وذكر كراماته ومن لقيه من الفضلاء واعترف له بالفضل والمزية، وشهدوا له بالخصوصية، ومن هداه الله على يده بالدخول في الإسلام وذكر كثير من أجوبته في آيات وأحاديث وحل مشكلات في كتابنا المسمى بـ(النجم الثريا في المآثر العلوية) ولنرجع إلى ما أنا بصدده الآن، وليكن في شريف علمك بعدما أود منك أن تصغي بقلبك، إلى ما ألقيه على سمعك، لتكون على بصيرة وما يعقل ذلك إلا العالمون، وما يلقاها بالتصديق إلا المصدقون.

إن هذا المنهج القويم طريق السلوك، لا مجرد انتساب واقتصار على الأذكار والاكتفاء بالتبرك، لأن المقصود الواحد من طريق القوم رضوان الله عليهم والمركز الأهم الذي يدور عليه محورهم، والأساس الذي بنيت عليه دعائمهم، الدلالة على الله على الوجه الأكمل والوصول إلى درجة العرفان، وسر التحقيق والإتقان، وانفتاح البصائر واكتحالها بأثمد التوحيد الخاص والتمتع بالشهود والعيان، عن الدليل والبرهان، وإفراد الوجهة القلبية بالتوجه لله سبحانه وتعالى وانقطاعها عما سواه بالكلية، وإخلاصها له بالعبودية. فهذا هو المقصود بالذات من كل طريق، وما سواه تقصير وتزويق، إن لم تقل

مانع وعائق. بالنسبة لمقام الكمال والتنزه على بساط الأنس في حضرة الجمال. فلأجل هذا احتيج لمذكر واصل وموصل داع لله بالله فلو اقتصرنا على مجرد الانتساب لكفتنا النسبة النبوية والحمد لله. كمن انتسب لأحد المشائخ المتقدمين رضوان الله عليهم وبينه وبين ذلك الشيخ ما شاء الله من السنين والأسانيد بل وربما سنده مقطوع غير محقق بمن ينتسب إليه ويكتفي بذلك قاطع النظر عما هو الأهم الذي صحبت الناس المشائخ لأجله وحتى إذا استفسرته ما هو مقصودك وما سبب استنادك على هذا الشيخ الذي ما رأيته ولا اجتمعت به ولا أخذت عنه لقال لك لأنه من الكمال الذين تستغيث الناس بهم شرقاً وغرباً أو لأن له من الكرامات، وخرق العادات، ما لا تقدر على حصره ويسرد لك بعض حكايات واهية تدل على غباوته وقلة عقله. أو يقول لأنه غوث وسلطان الصالحين وله التصريف الكلي في الوجود حياً وميتاً ومن وقع في الشدائد ويستغيث به يغيثه. وإن أتباعه مضمونون في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا يرون أهوالها، ولا يقاسون شدائدها، ويستشهد لك ببعض كلام ذلك الشيخ الذي ما شمّ رائحة معناه فضلاً عن أن يفهمه لكونه عالياً عليه. وليس هو من أهله. لأنه لا زال في قيد الحجاب يتبع المطامع وما تهوى الأنفس لا يعرف من الطريق إلا اسمها ولا معنى الأستاذ ولا الولي ولكن وجد بعض المخرفين يحكي حكايات ملفقة تمجها الأسماع يشهد العقل ببطالتها وسماجتها لمخالفتها النقل والعقل فارتسم ذلك في مخيلته وتخلد في ذهنه وربما توهم أن الأولياء والمشائخ يقدرون على تأثيرات ولا يشبهون المخلوقات كأنهم خلقوا من طينة غير طينتهم أو نزلوا من عليين. وهذا اعتقاده في الصالحين لغباوته وسذاجته وهذا هو السبب الواحد الذي دعاه للانتساب إليهم أو وجد آباءه كذلك في الطريق متمسكين، وبأذيال ذلك الشيخ متشبثين ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٧٠] فيا ليت شعري ما هذه الأضاليل المهلكة، والأباطيل الممقتة، التي تحرمنا من الانتفاع بأهل زماننا وتمنعنا من كل خير.

وحتى إذا أردت أن تنصحه وتنقذه من وحلته، وتنفض تراب التقليد عن ذهنه، وتزيل غشاوة الغباوة عن بصره، وتدله على من ينتفع به، وبصحبته يفهم سر من ينتسب إليه. اتهمك وظنك أنك محارب للصالحين، ومنكر على المشائخ المتقدمين، ولا يصغي لقولك ولا يلتفت لنصحك، بل يظنك من الجاحدين. وإن انقاد لك نوعاً ما وآنس منك نصحاً أذعن لك واعترف بالحق وصار يعتذر ويطلب المسامحة في كونه لا يقدر أن يبدل شيخه الذي هو منسوب إليه ومسند عليه بالهواء إذ يرى ذلك من المعرّة وأنه لا يجوز ويتوهم عدم انتفاعه بالأول والثاني وإنه من المنكرات التي لا تمحى كأنه خرج من الديانة

بما تخلد في ذهنه من المخوفات ويستعظم ذلك فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحَجّ: ٤٦].

والأغرب من هذا أنك تجد من ينتسب إلى العلم والفهم على هذا المنوال ويزيد على الأول مجادلته لك بنصوص يدافع بها عن نفسه ويوهم بها غيره فيظنها حجة له وما هي إلا حجة عليه فسبحان الله كأنك تهلكه وما أنت تريد إلا إصلاحه ونفعه. وفي زعمه أنه محصل على حظ وافر من الطريق حيث إنه منتسب لذلك الشيخ الذي له من الفضل كذا وكذا. ولكن فلمَ لا يقاصر على الجنيد رضي الله عنه مؤسس طريقة التصوف أو الإمام علي كرّم الله وجهه الذي اغترف من البحر المتدفق بكل الأنوار وشرب من عين الحياة وتلقى الأسرار مشافهة. أو النبي ﷺ لأن له من المعجزات ما يزهدنا في كل الكرامات، وله الشفاعة العظمى والخير الأوفى من كل شيء. وكل ذلك لا يغني عنا من الله شيئاً إن لم ندخل البيت من بابه، ونأتي الشيء من مقدمه، ونتبع سبيله، ونقتفي أثره. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٣١].

ومن طلب الوصول والاغتراف من هذا المشرب الخصوصي لا بد له من صحبة مرشد حي من أهل زمانه يسلك على يده في طريق الله ولو بلغ ما بلغ في العلم والعبادة والكشوفات.

ذكر الشيخ البرموني في كتابه ما وقع لشيخه سيدي عبد السلام الأسمر في ابتداء أمره قبل أن يلتقي بشيخ التربية قال: لما بلغ رضي الله عنه مبلغ أهل العلم والتأمين في ذلك قال له عمه: سر معي إلى شيخ من شيوخ التربية لتنسب إليه وتأخذ عنه، فقال: يا عمي كيف نحتاج إلى شيخ والله عزّ وجل كشف لي الحجاب حتى مشارق الأرض ومغاربها وما فوق الفوق وما تحت التحت، فقال له: يا عبد السلام إن لم تنسب إلى شيخ فلا يتم لك ذلك لأن شيخ التربية واجب وجوباً متأكداً فإن المريد وإن قرب من المنازل ورأى ما لا يمكن وصفه فلا يأمن رعونة نفسه وغواية شيطانه إلا بمعرفة شيخ غالباً فلا بد لك من الانتساب إلى من هو عارف بالله فارغ من تأديب نفسه وعلى الله الكمال لأن الإنسان إذا لم ينتسب إلى شيخ قالوا كالشجرة النابتة بنفسها لا يتم نتاجها ولا زال عمه يحثه على ذلك إلى أن سار معه إلى من أراد الله ظهوره على يده وهو الشيخ سيدي عبد الواحد الدوكالي إلى أن قال: وبقي سيدي عبد السلام عنده سبع سنين مجدًّا في خدمته ليلاً ونهاراً إلخ ما قرره. وكثير من المشائخ الذين اشتهرت الطريق بهم أخذوا عن عدة مشائخ بمناسبة عدم بلوغهم المقصود بصحبة الأول لمانع من الموانع إما بموت أو... فينتقلون وقتئذ إلى من يبلغهم المرام لأنهم رضوان الله عليهم مقصودهم

الله لا المشائخ وإنما هم دالون عليه لا غير حسبما جرت عادة الله لا بد من واسطة. ويحكى عن الولي سيدي محمد بن عيسى رضي الله عنه أنه أخذ عن ثلاثة أشياخ - يعني تدريجياً - كلما فارق واحد منهم بالوفاة دله على غيره إلى أن وصل إلى الثالث فقال له: هلا قال لك ها أنت وربك. اهـ.

وقد قال سيدي أبو مدين الغوث رضي الله عنه: (ليس الشيخ من أوقفك بالباب، إنما الشيخ من رفع بينك وبينه الحجاب) وقال سيدي ابن عطاء الله رضي الله عنه في حكمه: (لا تصحب من ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله).

وعلى ما قررناه لا تظهر فائدة الميت للمنتسب من حيث حصول هذا النفع له إذ لا يتأتى ذلك إلا بالحي. ولهذا قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي رضي الله عنه: (إن الميت لا ينتفع به) يريد هذا النفع من حيث تربية المريد والأخذ بيده في حالة سيره إلى الله ومحاذاته في الطريق ولا يتيسر هذا إلا بصحبة الحي إذ قيد الحياة شرط في الصحبة. وقد قال مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه مشيراً لما ذكر في عينيته:

وإن ساعد المقدور أو ساقك القضاء ... إلى شيخ حق في الحقيقة بارع
فقم في رضاه واتبع لمراده ... ودع كلما من قبل كنت تصانع

وهكذا تجد أسلافنا رضوان الله عليهم جميعاً يحرضون على صحبة المرشد الحي والتذلل على أعتابه ولو تتبعت التاريخ لوجدته مشحوناً بوصيتهم في ذلك كل يحرض أتباعه على المرشد الحي إذ هو نائب عن الجميع ولا يقيدون الناس بهم لعلمهم بميل النفوس إلى المتقدمين ويدلون الناس على من فيه أهلية للإرشاد من أهل الوقت ولكن الذين جاؤوا من بعدهم انحرفوا عن طريقهم ولا وقعت أبصارهم على مثل هذا فضلُّوا وأضلُّوا واتّبعوا أهواءهم ولم يفهموا كلام أشياخهم المنتسبين إليهم لقصورهم بل أوّلوه حسبما تقتضيه أهواؤهم وزادوا في الطبل نغمات، وفي الطين بلات، وبدّلوا الطريق وأفعموها بالبدع والمفاسد حسبما لعبت به أيدي ذوي الرئاسة ونسبوا ذلك إلى أسلافنا الطاهرين المنزَّهين عن ذلك وحاشا لله ما علمنا عليهم من سوء ما هم إلا هداة ناصحون. وقادة صادقون. قال الإمام سيدي أحمد التيجاني رضي الله عنه ناصحاً لمن يأتي من بعده من المتعلقين به، والمتغذيين بلذيذ كلامه، والصادقين له في قوله، عندما أطلعه الله على ما هم عليه، محرِّضاً ودالاً على من فيه أهلية بدون حصر ولا تقييد.

اعلم أن الله سبحانه وتعالى: جعل في سابق علمه، ونفوذ مشيئته، أن المدد الواصل إلى خلقه من فيض رحمته. يجري في كل عصر مع الخاصة العلياء من خلقه من

النبيين والصديقين فمن فزع إلى أهل عصره الأحياء من ذوي الخاصة العلياء وصحبهم واقتدى بهم واستمد منهم فاز بنيل المدد الفائض من الله تعالى، ومن أعرض عن أهل عصره مستغنياً بكلام من تقدمهم من الأموات طبع عليه بطابع الحرمان وكان مثله كمن أعرض عن نبي زمانه وتشريعه مستغنياً بشرائع النبيين الذين خلوا قبله فيسجل عليه بطابع الكفر والسلام. اهـ.

فانظر بارك الله فيك بعقلك السديد إلى هذا الكلام البارز من قلب ناصح الذي يبطل كل ما يناقضه مما ينسب إليه، أو يؤول حسبما يليق بمقامه رضي الله عنه. وماذا يراه المحاول المستغني بالقشر عن اللباب، الذي لا زال في قيد الحجاب، فهل يتسنى له أن يبقى مقيداً بالحظوظ عن المقصود؟ نسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المتنبهين، غير المحرومين المتعصبين.

وأما صحبة المشائخ لإذنهم لنا في الذكر دون المعرفة والوصول إلى المذكور فلا نحتاج لذلك فإن كل مؤمن مأذون فيه والحمد لله بل مطالب بالذكر في سائر الحالات، بمقتضى قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣] في كل الأطوار والأوقات، بدون تحديد ولا تقييد ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢] وقال ﷺ: **«اذكروا الله حتى يقولوا مجنون»**[1] وقال أيضاً: **«أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقول المنافقون أنكم مراؤون»**[2].

فبقيت مسألة النفوذ، وما يوصل إلى حضرة المعبود. لا بد من مرشد يقود وبسره يجود. قال تعالى: ﴿فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ﴾ [الرحمٰن: ٣٣] قد عرف المناهل وعبر السبيل، وأبرأ النفس من أسقامها الخبيثة وأشفى القلب العليل بمراهم حكمته، وكيمياء أسراره. فمَن أهّله الله لإرشاد عبيده علّمه من لدنه علماً، وملأ قلبه معرفة وحكمة وفهماً، يجذب قلوب المحبين المستعدين لحمل تلك الأسرار بنظره، ويطوي عنهم براقع الأكوان في لمحة، وهذا لا يخلو منه عصر ولا فقد منه زمان. مستمراً باستمرار النور النبوي لا ينقطع ما دام الشرع والإيمان. وقد يظن الغبي والآيس من روح الله عدم وجود هداة في هذه الأزمنة داعين لله بالله. ويستبعد وقوع الفتح كأنه يحجر على مولاه. ولم يدرِ أن الأمة المحمدية

---

(١) رواه يحيى بن معين في تاريخه، تسمية الشاميين وأهل مصر والجزيرة، حديث رقم (٥٠٣٩) [٤/ ٤١٣].

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور للطبراني (انظر الدر المنثور، قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤٢] [٦/ ٦٢٠]).

كالمطر لا يدري أوله خير أم آخره كما في الحديث[1]. وفي القرآن قال تعالى: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البَقَرَة: ١٠٦] وربما يمن من فضله موجود ورحمته واسعة ويمنح المتأخرين بما لم يمن به على المتقدمين. قال عليه الصلاة والسلام: **«مثل أمتي مثل حديقة قد قام عليها صاحبها فاجتلب زكيها وهيأ مسالكها وحلق سعفها فأطعمت عاماً فوجاً ثم عاماً فوجاً فلعل آخرها طعماً يكون أجودها قنواناً وأطولها شمراخاً والذي بعثني بالحق ليجدن ابن مريم خلفاً من حواريه»**[2] وقال أيضاً: **«إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها»**[3] بحسب ما تقتضيه الظروف والأوقات. ويبعث فيها روحاً جديدة ويصلح الخلل ويستدرك ما فات. غير أن المتقاعس ومن أعمى التعصب بصيرته، لا يرى وجود الأهلية فيمن يريد أن يكشف عنه الغطاء ويطهر سريرته. وهكذا في كل عصر وجيل، تجد سلطان الحرمان متغلباً على الحقير والجليل، حتى أفضى بهم إلى حصر الخير فيمن مضى ضاربين صفحاً عمن يرشدهم إلى المنهج القويم من أهل زمانهم ولو حضروا في عصر من كبر في أعينهم لاستنقصوه أيضاً لأن المعاصرة حرمان، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [القَصَص: ٤٨] سنّة الله في خلقه. إلا من أخذ الله بيده. فسبحان من يضل من يشاء ويهدي من يشاء بيده الخير يؤتيه من أراد من أحبابه بفضله. ويمنعه من أعدائه بعدله.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعرَاف: ٤٣] إذ قد منَّ علينا بملاقاة هذا الهمام العظيم، وسقانا من كأسه الصافي ومشربه السليم، بمحض فضله، ولطائف عطفه. ولا يظن الظان أنني ارتكبت مثل هذا المركب على مطية الإفصاح، والبيان والإيضاح. هو مجرد إطراء وميل نفس واعتداء. أعوذ بالله أن أقول ما ليس لي به حق. بل نصيحة في ذات الله، وإرشاداً لعباد الله واغتناماً لأخذ الحظ من الدلالة على الخير، وأي خير أعظم من الدلالة على الله والوصول إليه ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزَاب: ٤] وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) ونصه: **«أمتي كالمطر لا يدري أوله خير أم آخره»** رواه الطبراني في المعجم الأوسط، من اسمه سيف، حديث رقم (٣٦٦٠) [٤/ ٧٨] والقضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (١٣٤٩) [٢/ ٢٧٦] ورواه غيرهما.

(٢) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول..، في أن خير هذه الأمة أولها..، [٢/ ٩٢].

(٣) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الفتن والملاحم، حديث رقم (٨٥٩٣) [٤/ ٥٦٨].

سبب تسمية هذه الطريقة بالعلوية

أقول وبالله التوفيق: إن سبب تسميتها اليوم بذلك وشهرتها به مع أنها كانت تعرف من قبل بالدرقاوية غرباً والشاذلية شرقاً لما لها من المزية وظهور الفائدة، ومن المعلوم أنه ما من شيخ تسمّت الطريقة باسمه، ورجع نسبها إليه، إلا وله من الفتح الإلهي والمشرب النبوي ما عمّ القريب والبعيد، ممن كان له قلب من معاصريه أو ألقى له السمع وهو شهيد. وظهرت على أيديهم من الفتوحات ما يشهد التاريخ لها وكثرت أتباعهم المفتوح عليهم الذين تجاوز عددهم الألوف وانتشروا في كل النواحي يدلون على الله على الطريق الخاصة. وللأستاذ المشار إليه من ذلك أوفر نصيب. بما أنه ظهر في هذه الطريق المؤسس لها رضوان الله عليه بصولة خارقة وأسلوب غريب، في استخراج الدقائق الغامضة والرقائق الفائقة، والحقائق النورانية، من بدائع المعارف الإلهية، والنتائج الربانية، ما تشهد له الأذواق السالمة، والعقول الكاملة، ولصاحبها بسمو المقام، ورفعة منصبه في المعارف والأفهام، زيادة عن مهارته بعلاج النفوس والأمراض القلبية، وإصلاح الأحوال الظاهرية والباطنية، بكيفية تناسب الطباع وتطابق العقول، كل على مشربه واختلاف فهمه، وكيف لا وقد ظهر فضله على تلامذته، وأغلبه مفتوح عليه، ففي مدة قريبة انتشرت طريقته في جل البقاع، وتداولت مؤلفاته التي رنت بها الأسماع في سائر الأصقاع، وبالخصوص القطر الجزائري ونواحيه، واهتدى خلق كثير على يديه، وصار الناس يقصدونه أفواجاً أفواجاً من كل بلاد ابتغاء الفتح والدخول في الخلوة والاغتراف من بحر حقائقه الفائضة، والاكتراع من حِياض معارفه المتدفقة، وعادت (مستغانم) قبلة للمتوجهين لاقتطاف أزهار شجرة معاني الإحسان. وكعبة للمتيممين لاجتناء ثمار دوحة حقائق الأكوان. فعمّت بركاته العباد، وانتفع بسره الحاضر والباد، حتى الكافرين انقادوا للإسلام وسلكوا على يده سبيل الرشاد، بما أمدّه الله من صولة التذكير، وشدة التأثير، مع حسن التعبير والملاطفة في الكلام، المناسب للأفهام، ولو أتينا بما انفرد به من جميل السجايا، وحسن الدراية، لاحتجنا حينئذ إلى ملء دفاتر ومؤلفاته أعدل شاهد وفي ذلك ما يغنينا عن الإطناب علاوة على ما ظهر على يده من الفتوحات المديدة، والكرامات العديدة:

حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفر

وقد صرّح رضي الله عنه بهذا الظهور في أول تصدره للإرشاد في بعض كلامه يشير إلى أن النبي ﷺ بشرّه بذلك فقال: (بشّرني بدر البدور، بالنصر مع الظهور، محبنا في سرور، محفوفاً بلطف الله، والله لقد قالا، بأفصح المقال، نصرناك في الملا، أنت في أمان الله).

فبلغت هذه الدعوة بعض الناس قال له إنها دعوة تحتاج إلى بينة فقال له الأستاذ: كفاها من بينة لأني قلتها، والحالة كما تراني في غاية القلة من الأتباع والمستقبل كشاف وسيشهد بصدقها إن شاء الله. فجاءت هذه البشارة حسبما أخبر به فلم تمر مدة إلا وقد انتشرت طريقته في القرى والأمصار، وتداولت مؤلفاته في الأقطار، ولهجت بذكره الكبار والصغار، وكثرت أتباعه وما من محل إلا وتجد فيه من يدل على الله من أهل هذه الطريق ممن أذن لهم الأستاذ في التلقين فقلما تخلو منهم ناحية ويعلم الله ما في المستقبل. فسبحان من أيده بروح قدسه، وأسبل عليه من بهاء ستره ولطائف أنسه، حلة الرضى والقبول.

وليكن في علمك بارك الله فيك زيادة على ما سبق أن كل شيخ دعى لله سبحانه وتعالى على الوجه الخاص إما بطريق الاستقلال أو بالمتابعة إلا وسنده محقق الاتصال بالحضرة المحمدية من حيث التلقين وأخذ العهد إذ ذلك شرط لازم في الدلالة على الله لترتبط قلوب المريدين به وبالمشائخ إلى النبي ﷺ ليحصل الآخذ عنه على حظه من النور النبوي الساري في السلك الممدود من المركز العالي الواصل طرفه لذلك الأستاذ فيأخذ من تلك الأضواء المنبعثة أشعتها النافذة على سطح ذلك السلك المملوء مصابيح قدر زجاجة قلبه، وصفاء لبه. فإن ذلك شبيه بالسلك الكهربائي فمن مسكت زجاجته به واتصلت بالمحبة والانقياد، سرى فيه من ذلك النور بقدر ما له من الاستعداد. وهذا هو سر ارتباط المريد بشيخه. وليعتبر النقطة التي هو مركوز فيها إذ الكل غائب عن بصره زيادة عن النور الساري فيه منها إذ لا يتأتى له ذلك إلا بواسطتها. وليعتبرها غاية الاعتبار إن كانت النقطة على ما هي عليه وحصل النفع بعد ارتباطه بها. وإلا فحكمه كمن لم يرتبط لا زال في قيد الحجاب سابحاً في الظلمات إذ ما بويعت المشائخ إلا لأجل حصول المقصود الذي حق أن تلتفت إليه الأنظار، وتتفق في طلبه الأعمار. وعليه فإن حصل الآخذ لذلك على النتيجة المطلوبة، والضالة المنشودة، بعد جدِّه واجتهاده في طريق الله بما أمر فذاك، وإلا فالواجب عليه الانتقال كأن كان أخذ على أحد من ذوي التبرك والصلاح ممن لم تتوفر فيهم شروط الإرشاد، أو توفرت ومات قبل أن يبلغ مريده المراد. فلا زال محتاجاً لمن يأخذ بيده، وينهض به إلى ربه. فمريد الحق لا تقيده الأوهام ولا تقطعه الخيالات الوهمية عن المرام. فكل شيء بالنسبة لمعرفة الله الخاصة ودون التنعم بمشاهدة جماله على بساط حضرته باطل ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٤٢] نسأله سبحانه وتعالى أن يفرد وجهتنا إليه، ويجعل انتهاء سيرنا فيه، بمنِّه وكرمه، آمين.

نتائج الطريقة العلوية

اعلم أيها المريد الصادق أرشدني الله وإياك إلى إصلاح أنفسنا وأن لا يحجبنا بحظوظنا الدنية، عن حقوقنا السامية، أن هذه الطريقة الميمونة أصبحت اليوم أقرب الطرق إلى الله وأسهلها على العباد من حيث النجاح وظهور النتيجة، وإسراع الفتح لطالبها وانقلاب أحواله، وتبديل أوصافه، في مدة يسيرة إن كان من الصادقين، بما أنها مؤسسة على الكتاب والسنّة خالية من البدع المذمومة، والمقاصد الخسيسة، محفوفة بالخصال الحميدة، وليس الخبر كالمعاينة. وإياك والإنكار قبل أن تحقق ما أنت قادم عليه، فإن المقام خطير وما كل أحد يتربص حتى يأتيه اليقين ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسرَاء: ١١] ولا تمل إلى المبطلين الذين تقيّدوا بالحظوظ السافلة فتفوتك الفائدة العظمى ويقع لك الحرمان من حيث لا تشعر والحالة أننا ما أردنا إلا هدايتك ونفعك ونصحك إن كنت من القابلين للنصيحة إذ لا خير في قوم لا يتناصحون ولا خير في قوم لا يقبلون النصيحة. ومَن استبعد ما ذكرناه فليسأل به خبيراً، ومَن شكّ فليجرب. قال أستاذ هذه الطائفة ومركزها الأعظم للمجتهد الذي يريد الله:

يأتي ولو بالتجريب فله منا نصيب هذا مسلك قريب، أتانا من فضل الله

نعم ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٧].

وقال أيضاً رضي الله عنه:

فنعم العبد للنداء لبّى عندما أتاه منا الخطاب

فإن كانت لك في الله رغبة صحبتنا شرط ولا ارتياب

وعلى كل حال فما على الرسول إلا البلاغ، وما على المذكر إلا البيان، والله بالهداية كفيل.

ومن شاء فلينكر ومن رام فليختبر

إذ كل يجازيه الحق سبحانه وتعالى بما أسرّه وأخفاه حسب نيته ومقصده. ولا يلتفت إلى ما نبهنا عليه، وأرشدنا إليه، إلا صديق جاد في طريق الله ذو نية صالحة وعزم وحزم مدرع بالإيمان الكامل لا تأخذه في طلب مقصوده لومة اللائمين ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٧١].

بيان مقاصد هذه الطريقة

وإليك بيانها لتكون على خبرة منها حتى يتضح لديك الحال، وتعرف مقصودها ونتيجتها والمآل. فأقول: إنها وضعت على دعائم صحيحة وأساس متين حسبما تقدم، وتنحصر في ثلاثة: بداية، ووسط، ونهاية. أو نقول: مكابدة، ومجاهدة، ومشاهدة. أولها: أذكار، ووسطها: أنوار، وانتهاؤها: أسرار.

فأول ما يلقى لداخلها الورد العام لترتبط وصلته بحلقة سلسلة أهل الله ليكون أهلاً لحمل ما يلقى إليه فبسر التلقين المسلسل يأخذ حظه ونصيبه من النور النبوي.

ثم يشتغل بما يعود عليه بالنفع من فقه وآداب وتربية القلب على المحبة والانقياد، ويستمر إلى أن يسري فيه نور الذكر ويطمئن به قلبه فتنفتح بصيرته بالذكر الخاص فيرى من الأسرار الربانية، والمعارف الإلهية المتدفقة عليه من حضرة الغيب بفضل الطريق ما يجب له الشكر والتعظيم لشأنه وتلك الفائدة العظمى الحاصلة لداخلها.

ثم يعمر أوقاته بإدامة الفكر والتفكر والاعتبار، ويتفاوت الذاكرون الذاكرون في الفهم والاستغراق في معرفة الله بقدر المنّة والاستعداد. وعلى وسع الإناء يكون الاستمداد. والجميع لا يخلو حظه ونصيبه من التوحيد الخاص. قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسرَاء: ٢٠] وهذا بعد ذكر الورد الخاص المقصود بالذات من الطريق الذي يكون به الفتح والوصول إلى مقام التحقيق، وأما ما سواه من الأذكار فهي وسائل لا غير.

وقد ينجذب المريد بدون ذلك فتخطفه يد العناية وتزج به في الحضرة القدسية وتطوي عنه المسافة وكل المقامات، وهذا هو المسمى عندهم بالمجذوب أو المحبوب، وقد شاهدنا كثيراً من هذا في هاته الطريقة الكريمة ذات المسلك القريب والفتح العجيب، وصار الناس يتعجبون مما يظهر على يد الأستاذ رضي الله عنه من الفتح السريع على تلامذته ما بين معتقد غير متردد ومنتقد مفند ممن ليس له ذوق سليم التابع لهوى نفسه، وما يوحي به شيطانه ويلقيه إليه من وسوسته. حفظنا الله من الانتقاد والاستبعاد لما يظهر على يد أوليائه خصوصاً وعموماً ولا سيما من اتضحت خصوصيته. وظهر فضله وبركاته.

الذكر الخاص

وإليك بيان هذا الذكر المحتاج للتنبيه، المتوقف على سر الإذن فيه، فهو الذكر الكفيل بكل الخيرات، الجامع لمعاني الأسماء والصفات، وكيف لا وهو اسم الله العظيم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى. وبالأخص لذاته سبحانه وتعالى لأنه في الإجابة أسرع وأدعى للقبول. قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦] وقوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غَافر: ٦٠] فمَن طلبه لذاته أي لمعرفته الخاصة بصفة الذل والانكسار، وإظهار العبودية والافتقار وبالأخص على يد مرشد وجد الإجابة أقرب إليه من كل شيء إذ من تحقق بفقره يمده الله بغناه ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢] ومن تحقق بجهله يمده الله بعلمه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٢] ومن فزع إلى الله والتجأ إليه طهره من رذائل غفلته، وأخرجه من سجون شهوته. إذ من تقرّب إليه شبراً تقرّب منه ذراعاً وقابله بمزيد التكريم ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ١٤٣] ومن استبعد ما ذكرناه و﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعرَاف: ١٧٦] فصله حجاب الحرمان وسدّ عنه مواهب مولاه. قال ابن عطاء الله رضي الله عنه: (مَن استغرب أن ينقذه الله من شهوته، وأن يخرجه من وجود غفلته، فقد استعجز القدرة الإلهية ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥])اهـ. وما ذاك إلا لسوء الآداب، المسبب للقطيعة وسدل الحجاب، هذا وإن ما على العبد إلا أن يظن في سيده ومولاه، الذي خلقه في أحسن تقويم وصوّره وسوّاه كل خير ونوال ما فيه رضاه، ولا يستغرب ولا يستنقص نفسه بما أهّله الله لأن ينال فوق ما يظن وكيف لا وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن الحق عزّ وجل: «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيراً**»[1] ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [القَصَص: ٦٠] مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ومَن يرد الله أن يهديه يشرح صدره ويطهر قلبه. وإذا منحك الله أيها المريد بملاقاة أحد أوليائه الذي بيده مفتاح القلوب فألقي إليه القياد، وسلّم له في كل ما أراد، واسمع قول صاحب العينية[2] رضي الله عنه:

---

(١) روى نحوه البخاري في صحيحه، باب ما يذكر في الذات..، حديث رقم (٦٩٧٠) [٦/ ٢٦٩٤] ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة..، حديث رقم (٢٦٧٥) [٤/ ٢١٠٢] وروى نحوه غيرهما. ورواه ابن حبان في صحيحه بلفظ: «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**» [باب] ذكر الإخبار عما يجب على المرء من مجانبة سوء الظن..، حديث رقم (٦٣٤) [٢/ ٤٠٢].

(٢) هو القطب العارف بالله تعالى الشيخ عبد الكريم الجيلي المتوفى سنة ٨٣٢هـ، من تصانيفه: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، والكمالات الإلهية في الصفات المحمدية. والعينية المذكورة نقوم بتحقيقها في الدار.

وإن ساعد المقدور أو ساقك القضاء ... إلى شيخ حق في الحقيقة بارع
فقم في رضاه واتبع لمراده ... ودع كل ما من قبل كنت تصانع
وكن عنده كالميت عند مغسل ... يقلبه ما شاء وهو مطاوع
ولا تعترض فيما جهلت من أمره ... عليه فإن الاعتراض تنازع
وسلم له فيما تراه ولو يكن ... على غير مشروع فثم مخادع
ففي قصة الخضر الكريم كفاية ... بقتل غلام والكليم يدافع
فلما أضاء الصبح عن ليل سره ... وسلّ حساماً للغياهب قاطع
أقام له العذر الكليم وأنه ... كذلك علم القوم فيه بدائع

ولنرجع إلى ما ترجمته له من ذكر الاسم المشار إليه. فإن الأستاذ رضوان الله عليه، يلقنه لكل من طلبه منه ورأى فيه أهلية لذلك ويأمره بذكره على الوجه المطلوب في الطريق من خلوة ورياضة وتقليل نوم وأكل وطهارة تامة واستحضار قلب وفراغه من الحظوظ السافلة، والمطامع النفسانية، وغير هذا مما يأمره به، فينقطع لله سبحانه وتعالى بعض أيام متوجهاً إليه، ذاكراً لذلك الاسم الأعظم مغمضاً عينيه لدى ذكره، جامعاً همته وفكرته فيه، بقوة وعزم حتى يمتزج بدمه ولحمه، ويطمئن قلبه لذكره، فإذا سار على هذا المنوال، وتمكن منه الحال، أمره الأستاذ بعد ذلك بالانتقال إلى ما هو أعلى من هذا المقام لكونه قد صفا قلبه وتمرن فكره على التفكر والاستحضار، وأصبح أهلاً لما يلقي إليه فارغ الفؤاد من كل الأغيار، حتى إذا تدفق بحر العظمة بأمواج المعاني يجده خالياً من صور الأكدار، فتتمكن منه الحقائق والأسرار، وتضمحل من نظره الأكوان وتنمحي لديه الرسوم ويزول السراب، وينكشف عنه سحاب الغيرية وظلام الصور الوهمية ويرتفع الحجاب، فعند ذلك يحصل على الفتح المبين والمقام العظيم وعلى معرفة تكل عن إعرابها ألسن الفقهاء، إذ لسوى الجنان ما لها إفشاء، فتحصل المنّة، وتتم النعمة، وبعدما يحصل على الحرية باستغراقه في بحار مشاهد الوحدة يطلب بالرجوع إلى التكاليف الشرعية، بإعطائه العبودية حقها، والحرية مستحقها ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وهذه نتيجة الذكر الخاص المتوقف على سر الإذن فيه مع الكيفية المعروفة في الطريق والشروط اللازمة وقد يرخص في بعضها للضرورة ولا بد من الانعزال ومحاذاة المرشد كي لا يقع للمريد خلل في سيره، حتى يتمكن من أمره، وأما إذا أراد أن يذكره مجرداً عما ذكر ابتغاء مرضاة الله واغتناماً لفضيلة الذكر فلا يتوقف على ذلك فهو كبقية

الأذكار ولا بأس للمريد أن يستغرق أوقاته في ذكره ما استطاع تمريناً للسان، وتصفية للقلب وإذهاباً للغفلة والنسيان، وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

الورد العام

أقول وبالله التوفيق: إن هذا الورد هو من الوسائل المستجلبة لما سبق من الخيرات، والأسباب المؤهلة للترقي في سلم الكمالات، بانخراط المريد في سلك أهل الله، وأخذه العهد بالتلقين وارتباطه بالسند المخصوص في لا إله إلا الله. فتأليف القلب مع قلوب المشائخ المشهود لهم بالخير في كل زمان، المرتبطين بشمس دائرة العرفان، الممدة بأنوارها الساطعة مرآة كل جنان، لدى حصول مقابلته لها في أوج فلك الإحسان، فذاك أفضل ما نفقت فيه الأرواح، وبذلت في تحصيله الأشباح ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وسنبين لك سند هاته الطريق الميمونة، إلى الحضرة المحمدية، قريباً إن شاء الله. وها هو الورد المشار إليه حسبما لقنه لنا رضي الله عنه وأجازنا في إعطائه، وذكره صباحاً ومساءً، يقول المريد أولاً:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (مرة).

بسم الله الرحمٰن الرحيم (ثلاثاً).

ثم يتلو قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المُزمّل: ٢٠] (مرة).

أستغفر الله (مائة).

ثم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦] (مرة).

اللهم صلِّ على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (مائة) وعلى رأسها يزيد وسلّم تسليماً.

ثم قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمّد: ١٩] (مرة).

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التَّغابُن: ١] (مائة) هذه ثلاثة تسابيح.

وفي الختام يقرأ سورة الإخلاص (ثلاثاً) اهـ.

ثم يدعو الله لنفسه ولشيخه ولأهل سلسلة الطريق ولجميع المسلمين.

وهذا الورد مما يتحد فيه سائر أفراد الطوائف الشاذلية فليحافظ التلميذ عليه وإن كان الأصل فيه الاستحباب فقد حلّ محل النذر.

وأما ما انفردت به الطائفة العلوية زيادة على ما سبق فذكر لا إله إلا الله مع مد الصوت (ثلاثاً) وبعدها محمد رسول الله عقب كل صلاة مفروضة اغتناماً لما في الحديث: «**من قال لا إله إلا الله ومدّ بها صوته أسكنه الله دار الجلال ورزقه النظر إلى وجهه الكريم**»[1].

ثم الوظيفة اليومية وهي (سورة الواقعة) صباحاً ومساءً مع قراءة مزج أبي المواهب التونسي للصلاة المشيشية (مرة) وبعدها قراءة الصلاة الكاملة للعارف بالله الشيخ سيدي محمد بن الحبيب بن الصديق الفاسي التي أجراها الله على لسانه في المنام وهي: اللهمّ صلِّ وسلّم بأنواع كمالاتك في جميع تجلياتك على سيدنا ومولانا محمد أول الأنوار الفائضة من بحر عظمة الذات، المتحقق في عالمي البطون والظهور بمعاني الأسماء والصفات، فهو أول حامد ومتعبد بأنواع العبادات والقربات والممد في عالمي الأرواح والأشباح لجميع الموجودات، وعلى آله وأصحابه صلاة تكشف لنا النقاب عن وجهه الكريم في المرائي واليقظات، وتعرفنا بك وبه في جميع المراتب والحضرات، والطف بنا يا مولانا بجاهه في الحركات والسكنات واللحظات والخطرات (ثلاثاً) ثم قراءة ما ذيل به الأستاذ رضي الله عنه هاته الوظيفة وهو: اللهم يا من جعلت الصلاة على النبي من القربات أتقرّب إليك بكل صلاة صليت عليه من أول النشأة إلى ما لا نهاية للكمالات (ثلاثاً) سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. اهـ.

وأما المناجاة التي اختصها الشيخ رضي الله عنه ورداً لنفسه الآتي ذكرها في الخاتمة[2] فسألناه عن تخريجها وإذنه لنا فيها فجاد بها علينا وأذن لنا في ذكرها ونشرها والحمد لله. وقال: يسرني أن يقرأها المريد في كل يوم (مرة) باختلاء وإحضار قلب وصدق لهجة مع التمعن في معانيها ومن لم يستطع فمرة في الأسبوع والأفضل ليلة الجمعة. اهـ. وهذا هو الورد العام الموجود اليوم بأيدينا المتعاطي عند كل الأتباع.

---

(١) رواه البستي في المجروحين، باب العين [٢/١٦٨].

(٢) سبق أن ذكرناها في كتاب مستقل باسم (النور الضاوي في الحكم ومناجاة الشيخ العلاوي) لذلك حذفناها من آخر الكتاب لعدم التكرار.

تنبيه:

أما الورد الخاص المتقدم ذكره فهو موقوف على الإذن فيه بمعنى أنه لا ينبغي لأحد أن يتناول ذكره على نحو ما ذكرنا من غير أن يستأذن فيه أربابه خشية أن تلتبس عليه الأحوال ويضل عن الطريق ولا يهتدي إلى المقصود بانفراده لأنه غير خبير بما هو قادم عليه لأن الإنسان مهما بلغ لا يقدر أن يسلك سبيلاً محفوفاً بالمخاوف بدون مرشد قد عرف المناهل والمراحل. وتكرر ذهابه وإيابه وعلم المقامات والمنازل، ومن استقل بفكره، وسار بعلمه فلا يأمن رعونة نفسه، وغواية شيطانه، لأن السبيل المشار إليه غامض جداً قد حفَّ بالمكاره وغيره ظاهر زاهر بنسمات السرور، مزخرف بما تهواه الأنفس من الحظوظ والأجور، ففي الغالب يرتضيه، ويظنه أنه هو المقصود ويضل عن سبيل ربه الموصل إليه، ولخفائه وإبهامه قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النَّجْم: ٣٠] فاتضح لنا جلياً حسبما تعطيه الإشارة أن السبيل المسند علمه لله سبحانه وتعالى في هاته الآية هو غير المعروف للعموم وإنما يعلمه الله والراسخون في العلم، ولخفائه احتيج إلى مرشد يدل عليه فينبغي ولا بد لمريد سلوكه أن يتخذ رفيقاً قبل شروعه فيه وأستاذاً يلقي إليه القياد ليهديه ذلك السبيل ويحفظه من كل ميل، وإلا خاطر بنفسه، وضلّ عما هو قاصد إليه.

قال الإمام الغزالي رضي الله عنه في كتابه الإحياء: إن المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل فإن سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان لا محالة إلى طريقه. فمن سلك البوادي المهلكة من غير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فإنها تجف على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر. وقال بعض العارفين: لا يخفى على من له أدنى دراية وفطانة أن السير في عالم الشهادة الذي هو عالم الجسمانيات براً وبحراً إذا كان بغير دليل يكون الغالب فيه الهلاك فضلاً عن أن يصل إلى المقصود فكيف في علم الغيب الذي ليس من قبيل المحسوسات فيجب على من في قلبه داعية السفر أن يبذل جهده في دليل عارف بعلامات الطريق خبير بالمهالك والمخاوف إلى أن قال: فإذا وجد مثل هذا الدليل سلّم نفسه إليه وتبرأ منها، وفي (الخلاصة المرضية) اعلم أيها المريد نجاة نفسك إن أول ما يجب عليك قبل كل شيء طلب شيخ يبصرك بعيوب نفسك ويخرجك عن طاعة نفسك ولو رحلت إلى طلبه في أقصى الأماكن والبلاد. اهـ.

فأقول: إن ذلك في هذا اليوم والحمد غير متعذر لمن اعتنى، وودّ أن يفوز ويبلغ المنى، أما في زماننا هذا فقد بيّنّا لك أيها المريد إن كنت لطريق الحق من ذوي الأتباع، وأعربنا لك على سطح هذه الوريقات ما يجلو السحاب ويكشف القناع. وقد أضحى الأمر سهلاً بمناسبة أن هذه الطريقة انتشرت في كثير من البقاع وكثرت أتباعها الذين أذن لهم الأستاذ في الدلالة على الله وقد لا تخلو الأعصار من وجود المتظاهرين بهذا الشأن من أهل النسبة.

قال ولي نعمتنا رضي الله عنه في رسالته العلوية:

ولا تخلو الأعصار من وجودهم بقية الله ليهتدى بهم

والآثار مشحونة بأن الأعصار لا تخلو من وجود هداة وارثين للسر النبوي المنقول من صدور الخاصة من عباد الله الذين اصطفى. وأنت تعلم أن العلم الموروث من الحضرة الممدة لكل الحضرات علمان: ظاهر وباطن، الأول عام لكل الأمة والثاني خاص بمن أهّلهم الله لذلك وزيّنه في قلوبهم وشرح صدورهم له وجعله يُنال بواسطة المقربين من خلقه. وإن كان فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، فقد جرت عادة الله بذلك ما من نبي ورسول وولي لا يتم أمره إلا بواسطة نواب حضرته، ولو كان الموسوط أفضل وأشرف من واسطته، وإذا تقرر هذا في ذهنك فإنك لا تستغني عن الواسطة ضرورة إن أردت أن ترتقي عن درجة أهل الدليل والبرهان. واعلم بأنك غير معذور إن وجدت من يرشدك إلى التوحيد الخاص على طريق الشهود والعيان، ويفتح بصيرتك ويكحلها بأثمد الإيقان، ويطهر سريرتك فترتقي إلى درجة الإحسان إذ ذاك بمنزلة الماء المطلق المطهر للقلوب المجلي عنها صدأ التقليد ووسوسة الشيطان. وإذا عدمت من يدلك عليه ولا وجدت من يوصلك إليه، بعد جدك واجتهادك في طلبه، فلك العذر على كل حال. قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣].

علم القوم[1]

ولتعلم يقيناً أيها المريد الصادق أن هذا العلم أفضل ما بذلت في تحصيله الحياة، وأهلكت في طلبه الأوقات، إذ هو زبدة الشريعة ولبها، ودعامة الديانة وقلبها، وكيف لا

(١) أي الصوفية أو أهل مقام (الإحسان) مقام: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وهو الركن الثالث من أركان الدين الإسلامي الكامل إضافة إلى ركنَي: الإيمان والإسلام.

وهو التوحيد الخاص الناشىء عن إيقان وعيان، وخالص ذوق ووجدان، وهل هناك أشرف من معرفة ذي المكارم والإحسان، المتواصلة إلينا نعمه وعطاياه في كل لحظة وآن، الذي به السعادة الأبدية، والحياة السرمدية، وقد قيل في مدح التوحيد العام الناشىء عن دليل وبرهان:

أيها المغتدي لتطلب علماً ... كل علم عبد لعلم الكلام

فما بالك بما ينشأ عن شهود وعيان، وموهبة من ذي المواهب والامتنان، فما بعد هذا البيان من بيان، والعلم يشرف بشرف المعلوم، وشتان بين درجة الخواص ودرجة العموم، إذ هو علم الباطن الذي يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده كما في الحديث. وكثير من المتهورين من أنكر وجود الخصوصية في الأمة المحمدية ورأى أنه ليس شيء زائداً على ما تقتضيه الظواهر من الدين الحنيفي فكأنه أحاط بكل شيء علماً واطلع على ما أكنته بواطن الصحابة المخصوصين بما أسرته لهم الحضرة النبوية من العلوم، مما لا تحملها أفكار العموم. قال أبو هريرة رضي الله عنه: حفظت عن رسول الله ﷺ: **«وعاءين من العلم، أما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم مني هذا البلعوم»**[1] نقله أبو عمر ابن عبد البر. وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: (لو حدثتكم بكل ما أعلم لقلتم رحم الله قاتل سلمان) وقال الإمام علي كرّم الله وجهه: (إن بجانبي علماً لو قلته لأزلتم هذا عن هذه وأشار برأسه عن جثته) وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (لو قلت لكم ما أعلم من تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] لرجمتموني ولقلتم إني كافر) فدلّ هذا على أن في الزوايا خبايا وأن العلوم الخافية هي غير العلوم المتعاطية. ولهذا تجد كثيراً من الصحابة والتابعين من يشير إلى ما اختص به من العلوم الإلهية والأسرار الربانية.

قال زين العابدين رضي الله عنه فيما ينسب إليه:

يا رب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثن
ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا

إذ هذا العلم من الأسرار التي لا تكتسب إلا بالذوق ولا يتأتى إفشاؤه إلا للمتأهلين من ذوي العقول الكاملة من المصدقين فكان إظهاره فتنة على الضعفاء من ذوي الهمم القاصرة الذين لا زالوا في رتبة الصبيان بالنسبة للبالغين من ذوي الأقدام الراسخة في

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب حفظ العلم، حديث رقم (١١٨) [١٢٠] ورواه غيره.

المعارف والشهود ولهذا كان ﷺ يحدّث الناس على قدر عقولهم ويحرّض على ذلك لأن طبقات السامعين تتفاوت في الأفهام، بقدر ما لهم من الإلهام، وليس فهم الخواص هو عين فهم العوام، فبينهما بون شاسع. وعلى كل حال فإن فاتك هذا العلم، ولم يكن لديك منه نصيب ولا سهم. فكن به من المصدقين تأخذ حظك من الولاية كما قال الجنيد رضي الله عنه: التصديق بعلمنا هذا ولاية. وقال الصقلي في كتابه نور القلوب في العلم الموهوب: (كل من صدّق بهذا العلم فهو من الخاصة وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة وكل من عبّر عنه وتكلم فيه فهو النجم الذي لا يدرك، والبحر الذي لا يترك). اهـ.

فأقول: لأن التصديق بما ذكر علامة على وجود الأهلية، وعنوان الفلاح ودليل على إلقاء القابلية، فلا شك إذا منَّ الله عليه بملاقاة أحد أحبابه المقبولين وأصفيائه المقربين، سقاه على يده كؤوس مودته، من لطائف علمه بسبب ما أودعه الله في قلبه من محبة أهله وبالجملة لا يحرم من وفقه الله لذلك أن ينال منه حظاً وافراً ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٥] وإذا تقرّر لديك هذا فلا تقنع بما حصلت عليه من العلوم الظاهرة ولو بلغت ما بلغت فذاك من علامة الحرمان فكن بارك الله فيك دائماً طالب الزيادة ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النَجم: ٤٢] وكان الطيبي صاحب حاشية الكشاف يقول: لا ينبغي للعالم ولو تبحّر في العلوم حتى صار أحد أهل زمانه أن يقنع بما علمه وإنما الواجب عليه الاجتماع بأهل الطريق ليدلوه على الصراط المستقيم حتى يكون ممن يحدثهم الله في سرائرهم من شدة صفاء بواطنهم إلى أن قال: حتى يصير يقتبس من أنوار النبوءة. اهـ نقله ولي نعمتنا رضوان الله عليه في (المنح القدوسية صفحة ١٠)، وقال بعده: «قلت: وكيف يستغني العالم بعلمه مع أنه مقصر في فهمه؟ وقد بلغنا عن الإمام الغزالي رضي الله عنه لما اشتغل بتصفية باطنه على مصطلح أهل الله أنه قال: ضيَّعنا عمراً في البطالة فيا خيبة مسعاي في تلك الأيام، فقيل له: ألست قد صرت بذلك حجة الإسلام؟ قال: دعوني من هاته الترهات أما بلغكم قوله ﷺ: **«إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»**[1] اهـ. ثم قال الأستاذ: فانظر يا أخي تواضع هذا العالم الشهير وإقراره بما كان عليه من البطالة قبل اجتماعه بالقوم ولا تحسبنه قال ذلك تهاوناً منه بعلم الشرع وحاشاه من ذلك وإنما قاله تعظيماً له حيث عرفه وكان قبل ذلك جاهلاً به وإن كان

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى، (١٨٦ غزوة النساء) حديث رقم (٨٨٨٠) [٥/ ٢٧٨] والدارمي في سننه، باب إن الله يؤيد هذا الدين. . ، حديث رقم (٢٥١٧) [٢/ ٣١٤].

ممارساً للظاهر فإنه كان عما في باطنه قاصراً وغاية ذلك كان جامعاً للرسوم، غافلاً عن العلم والمعلوم، ولما فتح الله عليه بملاقاة الصوفية صار علمه بالله، بعد أن كان بأحكام الله. اهـ.

فأقول: ومن لم يرزق صحبتهم ويتذلل على أعتابهم لا يطمع في شيء من ذلك ومن أحبهم فقد أحبّ الله لأنهم القوم الذين لا يشقى جليسهم ولا يخيب. ولما كان الإنسان مفتقراً بالطبع إلى من يقوده ويرشده إلى ما يعود عليه بالنفع في مماته ومحياه، احتاج إلى رفيق يستعين به على مصالح دنياه، وناصح يرغبه فيما فيه نجاحه في أخراه، فلزمه أيضاً وكان من أوجب الواجبات أن يتخذ مرشداً ويصحب عارفاً يوصله إلى مولاه، وذلك غاية المنى والمقصود.

واعلم أن من لم تنفتح بصيرته ويرى حقيقة الأكوان، وما لأجله خلق الإنسان، لا يتم أمره كيفما كان، ولو دخل الجنان ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسرَاء: ٧٢] فها نحن أرشدناك إلى طبيب ماهر، يزيل الغشاوة ويفتح البصائر، خالصاً لوجه الله لا يريد جزاءً ولا شكوراً، يقبل كل من أتى عنده واشتكى بعلته، وود تنوير قلبه وتطهير سريرته، فهل من مجيب يريد زوال عماه، وبلوغ مناه، ويحصل على تمام الشفاء في أقرب مدة فأين الجادُون ذوو الهمم العالية، المتواضعون لطلب الرقي في المناصب السامية وفي ظني أن من كان يريد فتح بصيرته يسلم نفسه للطبيب ولا يبالي قاطع النظر عن مذهب الطبيب وجنسيته، لا يريد إلا حصول الشفاء.

وأما من طبع عليه بطابع الحرمان لا يهتدي لما ذكرناه، ولا يلتفت لما نبهنا عليه نصيحة وإخلاصاً لوجه الله، بل وربما ظنّ أننا نريد بهذا الإيضاح جلب المنافع أو حصول المطامع بالتمويه والتدجيل كما توهمه كثير من الناس وجعله قيداً لازماً للمنتسبين. فليحذر من كان هذا نعته أن يطلق لسانه في أكل لحوم أهل الله رجماً بالغيب فقد لا يخلو الحال من وجود المخلصين بين أفراد المنتسبين. وحقيقة أنهم قليلون ولكن الظن الجميل والنظر الحسن فيه كل نجاة وسلامة، وخشية أن يكون المعترض على أهل نسبة الله بدون مبالاة كالضفدع كل ماء رآه ظنه موافقاً للسباحة فيلقي نفسه فيه بدون تأمل. فليحذر من أن يصادف مرة إناء مملوء بماء الإخلاص يغلي بالمعارف والأسرار على نار المحبة يرمي بشرر الطرد والإبعاد، للمعترضين وذوي الإلحاد، فيظن السلامة ويجود بنفسه، ويقفز فيه كعادته، فيصبح من الهالكين.

فتأمل وماذا يقول القائلون في طريقة مؤسسة على الكتاب والسنة محفوفة بكل خير تقول بلسان الحال والمقال: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سَبَإ: ٤٧] فأت بنفسك فقط وسلمها لمعالجها تكن من الفائزين.

ولا يسبق لفكرك أن صاحب هذه الطريق كبعض المتظاهرين الذين لا أهلية فيهم ولا قابلية لتربية المريدين بل هم محتاجون إلى تربية أنفسهم والأخذ بيدهم وقد اغترّ بهم الكثير وانقطع عن الله بسبب تعلقه بهم وصحبته لهم حيث لم يكونوا داعين لله على الحقيقة وحجبتهم الرياسة والمطامع النفسانية، ولكن كان حقاً على المريد المتعلق بمن هذا نعته ولم يحصل له نفع في صحبته الانتقال إلى من هو أكمل منه ممن توفرت فيه شروط الإرشاد المقررة في كتب التصوف، وقد ذكرها الأستاذ في رسالته العلوية وفي كتابه المنح القدوسية عند قول المصنف: شرط الإمام ذكر مكلف، فأخذ من النظم الإشارة لشيخ الطريق المتصدر للإرشاد وبالغ في ذلك فإن شئت فراجعه. ويتضح من ذلك أنها لو لم تتوفر فيه تلك الشروط ما اشترطها في غيره، وزيادة على ذلك أن السالك لطريقه يجد من الحرية والموافقة لسير الضعيف بقدر طاقته ما يناسب حال أهل هذه العصور رأفة بهم ورحمة.

وإذا حصل المريد منها ما جاء بصدده وانتفع يكون حراً بعد ذلك ولا يتقيد بالرقية كما يرى الكثير موصوفاً بذلك بدون ما يتزحزح من مكانه ويقع له أدنى سير في طريق الله يبقى في قيد العبودية ما دام على وجه البسيطة لا يلتفت إلى النفع ولا إلى ما يؤول إليه. فالله حسيب من ربط المريدين به على هذا الوصف وقطعهم عن الله بسبب صحبته، فكان لهم أعظم قاطع وعاتق.

وأما هذه الطريقة لا ترى فيها إلا الرحب والسعة وإن أردت الاستشهاد فإليك ما قاله الأستاذ رضي الله عنه في بعض كلامه بعدما أشار لخصوصيته وأن الشراب بيده وأن النبي ﷺ أذن له في سقيه حيث قال:

«يوافقني في أيام لا نطلب منه أعوام فإن حصل المرام يكون عبداً لله»

فانظر بارك الله فيك إلى ما له من السماحة وعلو الهمة وإعطائه لمريديه تمام الحرية مع محافظته له على دنياه، وما ينتفع به في أخراه. وكان رضي الله عنه تشمئز نفسه من تسمية بعض المنتسبين لأتباعهم بالخدام، وقال: كيف يتسنى لهؤلاء ذلك وأن النبي ﷺ كان يدعو أتباعه بالأصحاب أليس لهم أسوة حسنة فيه عليه الصلاة والسلام.

فتأمل وفقك الله بفكرك الثاقب كيف ينتقل الإرث النبوي لخلفائه على هيئته لأن «**العلماء ورثة الأنبياء**» كما في الحديث[1]. ومن لم يؤهله الله للخلافة وإرشاد عبيده على الوجه الأكمل لا يستنشق سر ذلك الإرث فضلاً عن أن يحصل عليه ويصير فيه بالطبع لا بالتطبع بسبب ما أودع فيه من النور المقتبس من مشكاة نور النبوة الذي ما عليه من مزيد. وفي هذا القدر كفاية ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

سند الطريق

قال ولي نعمتنا رضي الله عنه: ولما كان مشرب القوم عليهم رضوان الله أبلغ المشارب في التحقيق، وأسنى المعارج في التدقيق، تعين على كل منتسب إليهم أن يحقق مستنده على الوجه الأحق، لأن الحقائق لا تؤخذ من كل ذي دعوة إلا بعد تحقيق انتسابه على الوجه الأكمل كما ستراه إن شاء الله في هاته السلسلة المرتبطة خلفاً عن سلف إلى رسول الله ﷺ من غير ريبة ولا أدنى شبهة، في درة من دررها فالمتمسك بالفرع آخذ بالأصل مهما تحقق الاتصال.

ولما كان من مشائخنا من لم يتم أمره إلا بعد ملاقاة شيخين أو أكثر نبهنا بالعدد على من أخذ ثانياً حسبما علمنا وهكذا إلى الآخر وفصلنا بين ذلك بجدول تتميماً للفائدة والتماس الفضل.

ولنعلم أن غالب الطرق مستمدة من بعضها وللمقتصر أن يقتصر على الجهة العليا من الصحيفة لأنها أولى بالتحفظ وهي المعتمدة في طريقنا حسبما بلغنا وتلقيناه من ذروة مجدهم، وثمرة غرسهم، ذي الأخلاق الطيبة، والأسرار العجيبة، سيدنا ومولانا محمد بن الحبيب البوزيدي الشريف المستغانمي طيّب الله مثواه، وجعل الحضرة العلية منزله ومأواه. فعنه رضي الله عنه أخذنا ولقننا وأذن لنا فجزاه الله بما هو أهله، وهو أخذها عن أستاذه أبي المواهب مولانا محمد بن قدور الوكيلي عن سيدنا محمد بن عبد القادر الباشا وعن أبي يعزي المهاجي، وهما عن سيدي مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي، عن سيدي علي الجمل، عن سيدي العربي بن عبد الله، عن سيدي أحمد بن عبد الله. عن سيدي قاسم الخصاصي، عن سيدي محمد بن عبد الله، عن سيدي عبد الرحمٰن الفاسي، عن سيدي يوسف الفاسي، عن سيدي عبد الرحمٰن المجذوب، عن سيدي علي

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، ذكر وصف العلماء..، حديث رقم (٨٨) [١/ ٢٨٩] وأبو داود في سننه، أول كتاب العلم..، حديث رقم (٣٦٤١) [٣/ ٣١٧] ورواه غيرهما.

الصنهاجي، عن سيدي إبراهيم الفحام، عن سيدي أحمد زروق، عن سيدي أحمد الحضرمي، عن سيدي يحيى القادري، عن سيدي علي بن وفا، عن أبيه سيدي محمد وفا، عن سيدي داؤود الباخلي، عن سيدي أحمد بن عطاء الله، عن سيدي أبي العباس المرسي، عن سيدي أبي الحسن الشاذلي[1]، عن سيدي عبد السلام بن مشيش، عن سيدي عبد الرحمٰن العطار الزيات، عن سيدي تقي الدين الفقير بالتصغير فيهما، عن سيدي فخر الدين، عن سيدي نور الدين أبي الحسن علي، عن سيدي محمد تاج الدين، عن سيدي محمد شمس الدين، عن سيدي زين الدين القزويني، عن سيدي إبراهيم البصري، عن سيدي أحمد المرواني، عن سيدي سعيد، عن سيدي سعد، عن سيدي فتح السعود، عن سيدي سعيد الغزواني، عن سيدي أبي محمد جابر، عن سيدي الحسن بن علي، عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه، عن سيد المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. اهـ.

وهذا هو سند هاته الطريقة العلوية في الدلالة على الله. والتلقين الخاص في ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الصّافات: ٣٥] أوردناه عليك أيها المريد الصادق كي تتحقق وتتضح لك النسبة من أنها مسلسلة بالأكابر الثقات إلى رسول الله ﷺ في رواية تلقي الأسرار

---

(١) والشاذلي أخذ أيضاً عن سيدي محمد بن حرازم. عن سيدي محمد صالح بن بنصار. عن سيدي شعيب أبي مدين[1] عن سيدي أبي يعزى ميمون الغربي. عن سيدي أيوب بن سعيد. عن سيدي محمد تنور. عن سيدي عبد الجليل. عن سيدي عبد الله بن أبي بشر. عن أبيه سيدي أبي بشر الجوهري. عن سيدي أبي الحسن النوري. عن سيدي العمري السقطي. عن سيدي معروف الكرخي[2] عن سيدي داؤود الطائي. عن سيدي حبيب العجمي[3] عن سيدي محمد بن سيرين. عن سيدنا أنس بن مالك. عن سيد المرسلين ﷺ.

---

(١) وسيدي أبو مدين أخذ أيضاً عن سيدي الشاشي. عن سيدي أبي سعيد المغربي. عن سيدي أبي يعقوب إسحاق النهرجوري. عن سيدي أبي القاسم الجنيد. عن سيدي السري السقطي. وأخذ أيضاً سيدي أبو مدين عن مولانا عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه. عن سيدي سعيد المبارك. عن سيدي أبي الحسن سيدي علي بن يوسف. عن سيدي أبي الفرج الطرسوسي. عن سيدي أبي بكر بن جحدر الشبلي. عن سيدي أبي القاسم الجنيد. ومولانا عبد القادر الكيلاني أخذ أيضاً عن سيدي حماد بن مسلم الدباس رضي الله عنهما.

(٢) ومعروف أخذ أيضاً عن سيدي علي بن موسى الرضى. عن أبيه سيدي موسى الرضى. عن أبيه سيدي جعفر الصادق. عن أبيه سيدي محمد الباقر. عن أبيه سيدي زين العابدين. عن أبيه سيدي الحسن بن علي. عن أبيه سيدنا علي ابن أبي طالب. عن سيد المرسلين ﷺ.

(٣) وحبيب العجمي أخذ أيضاً عن سيدي حسن البصري. عن سيدنا علي ابن أبي طالب. عن سيد المرسلين ﷺ.

والمعارف الإلهية والتوحيد الخاص بالذوق والشهود والعيان الذي (لا تتلفظ به الأشداق، ولا يكتب في الأوراق) بل يلقى من صدر قطب إلى صدر قطب كما رأيت إلى أن وصلت إلى هذا الأستاذ الكريم رضوان الله عن جميعهم، وكلهم منار للهدى والاقتداء، سادة فحول. أجل من أن تندرج شمائلهم البهية العاطرة الذكر تحت نقول، وإن مشربهم العذب الزلال، المنهل من حضرة الكمال، ختامه اليوم مسك، فلوروده فليتنافس المتنافسون، ولمثل هذا فليعمل العاملون، فالحوض مورود، والساقي موجود، وبشرابه يجود، فليغتنم الفرصة من عمره محدود، من قبل أن تسد دونه الأبواب، وترتفع هذه المائدة الموجود اليوم بلا ثمن وينسدل الحجاب، فإن لكل شيء أجلاً مختوم، ووقتاً غير معلوم.